هل يوجد برنامج يهودى عالمى محدد؟

فـــى كـــل محاولات تفسير مشاعر العداء لليهود، يزعم أولئك الذين يتحدثون باســـم الـــيهود بوجـــود ثلاثـــة أســـباب شائعة: التحامل الدينى، الغيرة من النجاح الاقتصادى، النفور الاجتماعى.

وإذا مـــا كـــان الـــيهودى على دراية بذلك أم لا، فإن كل الأغيار من جانبهم يعلمـــون أنه حينما يتعلق الأمر بالمسألة اليهودية، فإن التحامل الدينى لا وجود له. ربمـــا تـــوجد غيرة من النجاح الاقتصادى، على الأقل إلى الحد الذى يتعرض لـــه أصـــحاب النجاح المطرد. البعض من المتحدثين باسم اليهود يعمدون إلى قلب هذا الانـــتقاد وذلك بإنكار أن اليهود متفوقون فى الأعمال المالية، ولكن هذا هو الولاء فـــى أكثر صوره تطرفا. ذلك أن الأعمال المالية العالمية واقعة فى قبضة اليهود؛ فقـــراراتهم ووسائلهم هى ذاتها قوانينا الاقتصادية. ولكن كونهم أناسًا يتفوقون علينا فـــى الاقتصاديات ليس بسبب كاف لأن نطالبهم بالوقوف أمام محكمة الرأى العام. وإذا كانوا أكثر ذكاءً وأكثر اجتهادا ومثابرة منا، وإذا كانوا يتمتعون بمواهب حرمنا مـــنها باعتـــبارنا جنسًا بشريًا فى مرتبة أدنى منهم، فإن هذا ليس مبررًا لأن نطلب مـــنهم أن يقدمـــوا لـــنا تقريرًا عن أنفسهم. قد يكون بالإمكان تفسير بعض مشاعر العـــداء لليهود فى إطار الغيرة الاقتصادية؛ ولكنها لا يمكن أن تكون مسئولة عن المســـألة الـــيهودية، إلا كمـــا تصبح الأسباب الخفية للنجاحات المالية التى يحققها اليهود، عنصرًا ضئيلاً فى المشكلة ككل.

أمـــا فـــيما يـــتعلق بالنفور الاجتماعى- فهناك الكثيرون من غير اليهود غير مرغوب فيهم فى العالم أكثر مما يوجد يهود غير مرغوب فيهم، ولسبب بسيط هو أن أعداد غير اليهود أكبر بكثير من اليهود.

ولا يذكـــر أولـــئك الـــذين يتحدثون باسم اليهود المجال السياسى، وحتى حين يلوحـــون بـــه، فهـــم يحصرونه فى موضوعات محلية. وهو ليس موضوع وطنية

الـــيهود، رغم أن هذا الأمر محل نقاش كبير فى كل الأقطار. ويمكن أن تسمع ذلك النقاش فى انجلترا، فرنسا،ألمانيا، روسيا، رومانيا، وبنوع من الصدمة فى الولايات المتحدة. ولقد ألفت كتب ونشرت تقارير وزعت بالخارج، وبها إحصائيات وضعت بمهـــارة؛ لإظهار كيف أن اليهودى يقوم بواجبه فى البلد التى يقطن بها؛ ومع ذلك تظـــل الحقـــيقة قائمة أنه رغم كل هذه الحملات التى لا تخلو من حماسة وترعاها النخـــبة، فإن الرأى المضاد هو أقوى ويدوم أطول. فاليهود الذين قاموا بواجبهم فى جيوش التحرير وفعلوها بلاشك بدافع الحب الحقيقى والولاء، لم يتمكنوا من التغلب علـــى الانطـــباع السائد عن الضباط والرجال والمدنيين من أولئك اليهود الذين لم يقوموا بواجبهم.

ولكـــن لـــيس هـــذا مـــا نعنيه عند الحديث عن العنصر السياسى فى المسألة الـــيهودية، ذلـــك أنه ليس مستعصيا على الفهم أن نعرف لماذا ينظر اليهودى إلى قومـــيات العـــالم المخـــتلفة بطريقة دونية لا تماثل نظرة أولئك الذين يشكلون هذه القومـــيات لبعضهم البعض. ذلك أن تاريخ اليهودى هو عبارة عن تجوال بين هذه القومـــيات كلها، وإذا ما أخذنا الأفراد الأحياء فقط، يمكن القول بأنه لا يوجد جنس بشـــرى على سطح الكوكب عاش فى أماكن كثيرة جدا وبين مجتمعات كثيرة مثلما عاشـــت جماهيـــر الـــيهود، ذلك أن العالم كله كان بمثابة مسار لهم، وهم يفكرون بطـــريقة عالمـــية أكثر مما يفكر الناس المحكومون بتوجهاتهم القومية. يمكن إيجاد الأعـــذار للـــيهودى إذا لـــم يدخل فى الولاءات والتحيزات القومية بذات القوة التى ينتمـــى بهـــا الســـكان الأصـــليون، فاليهودى معروف لقرون طويلة بكونه كونيًّا عالمـــيًّا(*)، يعتبر كل الأرض وطنا له، وهو سوف يمارس السلوك الصحيح الذى يليق به كمواطن أو مقيم تحت العلم الوطنى، إلا أنه من المحتم أن رؤيته وتصوره للأعـــلام لا يمكـــن أن يشاركه فيها الشخص الذى لم يعرف سوى علم واحد طيلة حياته.

أمـــا العنصر السياسى فهو ملازم لحقيقة أن اليهودى يشكل أمة من داخل أمة، والـــبعض من المتحدثين باسم اليهود- ولاسيما فى الولايات المتحدة – ينكرون هذا الأمـــر، ولكـــن أصالة اليهودى نفسه أخجلت حمية أولئك المتحدثين. ولم يكن من

(*) عولميا بلغة العصر

الواضـــح دائما لماذا هذا الإنكار العنيف لهذه الحقيقة، ولربما إذا ارتأت إسرائيل(*) أن مهمـــتها فى الحياة لن تتحقق من خلال وسائل مثل العجل الذهبى، فإن طبيعتها الكونية والعالمية فيما يخص علاقتها بالعالم، وتكاملها القومى الذى لا مفر منه فيما يخـــص علاقـــتها مع ذاتها، كلا الأمرين سوف يثبت أنه عامل شديد النفع لتحقيق الـــوحدة الإنسانية، وهو الأمر الذى تسعى الاتجاهات اليهودية الحالية لمنع حدوثه. وليســـت المســـألة أن يظـــل اليهود أمة فى وسط أمم، وإنما الأمر الأساسى يتعلق باســـتغلال هـــذه المكانة التى لا مفر منها، وهو أمر شجبه العالم بأسره. وقد بذلت العديـــد من الأمم المحاولات لإدماج اليهود وتوحيدهم داخلها؛ وهناك محاولات قام بهـــا الـــيهود أنفســـهم للانـــدماج، غير أنه على ما يبدو أن القدر قد أحصرهم فى قوميـــتهم المســـتمرة، وعلـــى كل من اليهود والعالم أن يتقبلا هذه الحقيقة والنبوءة الجيدة فيها والبحث عن قنوات تحقيقها.

يعـــد ثـــيودور هيرتـــزل أحد أعظم اليهود الذين قدموا شروحات تميزت ببعد النظر فيا يخص فلسفة الوجود اليهودى والتى عرفتها الأجيال الحديثة. ولم يخالطه شـــك قـــط فى وجود الأمة اليهودية. لقد كان يعلن عن وجودها فى كل المناسبات وكان يقول "نحن أمة – أمة واحدة".

ومـــن الواضـــح أنـــه كان يعتقد بأن ما أسماه بالمسألة اليهودية هى بالأساس سياســـية. ويبدو ذلك جليا فى مقدمة كتابه « الدولة اليهودية »حيث يقول" أنا أؤمن بأننـــى أفهم معاداة السامية والتى هى حركة بالغة التعقيد. وأنا أنظر لها من وجهة نظـــر يهـــودية ولكن بدون خوف أو كراهية، وأنا أؤمن أيضا بأنه بإمكانى معرفة العناصـــر التى تتشكل منها الرياضة الجماهيرية، من الغيرة التجارية الشائعة، من التحامل والتحيزات الموروثة، من عدم التسامح الدينى، وكذلك من التظاهر بالدفاع عـــن النفس. أنا أعتقد أن المسألة اليهودية ليست اجتماعية أكثر مما هى دينية، مع أنهـــا أحـــيانا ماتأخذ هذا الشكل أو أشكالاً أخرى. إنها مسألة قومية يمكن حلها فقط بجعلها مسألة عالمية سياسية، يتم تدارسها بواسطة مجلس من الأمم المتحضرة فى العالم".

ولـــم يعلن هيرتزل أن اليهود يشكلون أمة فحسب، وإنما حينما سأله الميجور

(*) المقصود بنى إسرائيل، فلم تكن هناك دولة إسرائيل وقت كتابة المقال عام ١٩٢٠م.

إيڤانز جوردون أمام اللجنة الملكية البريطانية لهجرة الأجانب فى أغسطس ١٩٠٢، قال د.هيرتزل " **سأقدم لكم تعريفى للأمة، وبإمكانكم أن تضيفوا صفة "اليهودى". الأمة هى، فى رأيى، مجموعة تاريخية من الأشخاص الذين يربط بينهم عدو مشترك. هذا فى رأيى هو تعريف الأمة. ثم إذا أضفت إلى ذلك كلمة "يهودى: "سيكون لديك ما أعرفه بأنه الأمة اليهودية**".

وأيضا فى محاولة ربط فعل الأمة اليهودية بالعالم، كتب د٠ هيرتزل يقول ــ " فى أوقات التدهور، نصبح البروليتاريا الثورية، الضباط التابعين فى الحزب الثورى ؛ ولكن حينما نصعد تصعد معنا أيضا قوتنا المالية المفزعة".

وتبدو وجهة النظر تلك صحيحة؛ لكونها استقرت مدة أطول فى أدبيات الفكر اليهودى، وقد تحدث عنها أيضا اللورد يوستاس بيرسى وأعيد نشرها غالبا بموافقة الجويش كرونيكل الكندية. وهى تستحق قراءة متأنية:

« **إن كلاً من الليبرالية والقومية فتحتا أبواب الجيتوهات على مصراعيها وقدمت حقوق مواطنة مساوية لليهود. انتقل اليهودى إلى داخل العالم الغربى وأدرك قوته ومجده، فاستغله وتمتع به، ووضع يديه بالفعل على المراكز العصبية الرئيسية لتلك الحضارة، وأدارها واستغلها ثم بعد ذلك رفض العرض. علاوة على ذلك – وهذا أمر مثير للدهشة– فإن أوروبا الليبرالية والقومية ، أوروبا الحكومة العلمية والمساواة والديمقراطية كانت أقل تسامحا مع اليهود عن أوروبا القديمة، أوروبا القهر والاضطهاد والاستبداد، ومع التماسك المتزايد للدول الغربية، لم يعد من الممكن الاعتماد على التسامح التام.**

وفى عالم من المناطق ذات السيادة محكمة التنظيم ،فإن (اليهودى) لديه خياران فقط يستطيع أن يلجأ إليهما: فإما أن يهدم أسس نظام الدولة القومية، أو أن يخلق أرضًا ذات سيادة خاصة به. وربما يكمن هنا تفسير كل من البولشفية اليهودية والصهيونية؛ لأنه آنذاك كان يهودو الشرق مترددين مابين الأيديولوچيتين.

فى أوروبا الشرقية بدا وكأن كلاً من البولشفية والصهيونية ينموان بجانب بعضهما البعض، تمامًا كما شكلت التأثيرات اليهودية الفكر الجمهورى

والاشتراكى خلال القرن التاسع عشر، مرورا بثورة شباب الأتراك فى القسطنطينية منذ حوالى حقبة مضت، ولم يكن هذا سببه أن اليهودى يهتم بالجوانب الإيجابية للفلسفة الراديكالية، أو بسبب أنه يرغب فى أن يكون مشاركا فى قومية أو ديموقراطية الأغيار، وإنما يعود الأمر بالأساس إلى أن اليهود يعتبرون كل أنظمة الحكم التى وضعها غير اليهود، نظمًا بغيضة فاشلة ».

كل هذا حقيقى، والمفكرون اليهود الأكثر جرأة يعترفون بكونه أمرًا صحيحًا، فاليهودى ضد مشروع الأغيار، فهو إذا ما سمح لميوله بالانطلاق، جمهورى ضد الملكية، واشتراكى ضد الجمهورية، وبولشفى ضد الاشتراكية.

فماهي أسباب هذا النشاط المتناقض؟ أولا النقص الجوهرى للديموقراطية. فاليهودى بطبعه أوتوقراطى(*)، وهو يعتبر أن الديموقراطية أمر جيد بالنسبة لبقية أنحاء العالم، ولكن أينما وجد اليهودى فهو يعمل على خلق أرستقراطية بشكل ما أو بآخر. الديموقراطية ماهي إلا أداة يستخدمها مثيرو الفتن اليهود فى الأماكن التى يتعرضون فيها للاضطهاد؛ ليرفعوا أنفسهم إلى مصاف الناس العاديين؛ ولكن حالما وصلوا إلى مستوى العامة، فهم سرعانا ما يبذلون جهودا للحصول على امتيازات خاصة- وكأنها حق لهم- وهى عملية كان مؤتمر السلام الأخير هو المثال الأبرز له، حيث حصلوا على امتيازات، بل إن الاتفاقية العالمية للسلام التى وقعت فيما بعد، دونت فيها الامتيازات التى منحت لليهود. إن اليهود اليوم هم الوحيدون الذين كتبت الامتيازات الخاصة التى منحت لهم فى الاتفاقية العالمية للسلام. وسيأتى تفاصيل هذا الأمر فى وقت لاحق. لا أحد اليوم يتظاهر بإنكار هذا الأمر- فيما عدا عددًا قليلاً من المتحدثين باسم اليهود الذين لا يتحكمون فى فكر اليهود، وإنما يسعون لفائدة إحداث تأثير على فكر غير اليهود، غير أن هؤلاء لا يستطيعون إنكار أن العناصر الاقتصادية والاجتماعية المضطربة فى العالم اليوم لا تديرها المصالح اليهودية فحسب وإنما تمليها أيضا. ولقد ظلت هذه الحقيقة غير مؤكدة لمدة طويلة وذلك بسبب إنكار اليهود الشديد، وكذلك أيضا بسبب نقص المعلومات لدى وكالات الدعاية التي توجه لها الجمهور فى سعيه للحصول على المعلومات. ولكن الآن الحقائق آتية . كما أن كلمات هيرتزل أثبتت أنها حقيقة:" فى أوقات

(*) استبدادى

التدهور نصبح البروليتاريا الثورية، الضباط التابعين فى الحزب الثورى"- هذه الكلمات نشرت لأول مرة باللغة الإنجليزية فى ١٨٩٦ أى منذ حوالى أربعة وعشرين عامًا.

هذا الأمر يسير فى اتجاهين؛ الأول هو تحطيم كل دول الأغيار فى جميع أنحاء العالم، أما الاتجاه الثانى فكان يسعي لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين. هذا المشروع الأخير باركه العالم بأكمله ولكنه بعيد تماما عن أن يلقى مباركة من كل أو حتى الجزء الأكبر من اليهود. إن الحزب الصهيونى قام بعمل لغط لتحقيق هذا المشروع، ولكنه يظل أقلية غير ممثلة، ولا يمكن وصفه إلا بأنه ليس أكثر من مخطط استعمارى طموح وشاذ. ومما لاشك فيه أن هذا المشروع سيكون بمثابة ستارة للاستمرار فى الأنشطة السرية.

اليهود العالميون المسيطرون على النفوذ المالى والحكومى قد يتقابلون فى أى مكان وفى أى وقت، فى وقت الحرب أو وقت السلم، ثم يعلنون أنهم ينظرون فى طرق ووسائل فتح فلسطين لليهود، وبالتالى يصبح من السهولة أن ينجوا من الشكوك فى أنهم مجتمعون لأسباب أخرى. وهكذا تقابل حلفاء وأعداء الچنتيل (الأمم من غيراليهود) فى وقت الحرب بدون أن يتعرضوا للمضايقة. وكان المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد فى ١٩٠٣ قد تنبأ بالحرب الحالية [الحرب العالمية الأولى] والإشارة إلى نتائجها وتطورها، كما تم وضع إطار علاقة اليهود بمعاهدة السلام.

بمعنى آخر فرغم أن القومية اليهودية موجودة، فإن تقديمها فى صورة دولة يتم إنشاؤها فى فلسطين ليس المشروع الذى يشغل كل الأمة اليهودية الآن. فاليهود لن ينتقلوا إلى فلسطين بعد؛ وربما يمكن القول بأنهم قد لا ينتقلون على الإطلاق بسبب الحركة الصهيونية. وإنما هناك دافع آخر من شأنه أن يكون السبب الذى سيدفع باليهود للخروج من بلاد الأغيار، وسيحدث هذا الخروج حينما يحين الوقت المناسب لذلك.

وكما يقول الراحل دونالد. إيه. كاميرون، القنصل العام البريطانى فى الإسكندرية، والذى كان شديد التعاطف مع الحركة الصهيونية، والذى تستشهد به الصحافة اليهودية كثيرا: " إن المهاجرين اليهود (إلى فلسطين) سوف يصيبهم

الكلـل (الـتعب) من أن يتقاضوا ما نسبته ثلاثة بالمائة مقابل غسل ملابس بعضهم الـبعض، ومـن كسب أموال بعضهم البعض داخل العائلة الواحدة ، بينما أبناؤهم يذهبون بالقطار والبواخر إلى مصر للفوز بعشرة فى المائة، إن اليهودى وحده فى فلسطين سوف يأكل نفسه، وسوف يدمر استقراره إلى شظايا (أو يدمر اصطبله) "ممالاشك فيه أن وقت الخروج - أوعلى الأقل الدافع لهذا الخروج- لم يأت بعد".

إن الجانـب السياسى للمسألة اليهودية والتى يتورط فيها على الأقل ثلاث من أكبـر الأمم- فرنسا ، بريطانيا والولايات المتحدة - له علاقة بأمور التنظيم الحالى للأمـة الـيهودية. هل تنتظر حتى تصل لفلسطين وتقيم دولة؟ أم هى دولة منظمة الآن؟هـل يعلم اليهود ما يفعلونه؟ هل لديهم "سياسة خارجية" فيما يتعلق بالأغيار؟ هـل هناك وزارة لتنفيذ هذه السياسة الخارجية؟ هل هذه الدولة اليهودية موجودة - سواء ظاهرة أم لا - وإذا وجدت هل لها رئيس؟ هل هناك مجلس للدولة؟ وإذا كان أىٌ من هذه الامور حقيقيًا، من هو الذى على علم بها؟

إن الإجابة التى يندفع تجاهها عقل الأغيار سيكون "لا" لكل هذه الاسئلة- وقد اعـتاد الأغيار أن يجيبوا بهذا التهور. فهم لم يدربوا على السرية أو الوحدة غير الظاهرة، فالأغيار يستنتجون على الفور بأن هذه الأمور لا يمكن أن تحدث.

المسألة، برغم الإجابات السابقة تتطلب تقديم تفسيرات للأحوال الواضحة أمام الـناس. فـإذا لم يكن هناك اتحاد لليهود فى العالم بشكل متعمد، فإن السيطرة التى حققـوها وتناسـق السياسـات التى يتبعونها لابد وأن تكون النتيجة الحتمية نظرا للطبـيعة المشابهة التى تجمع اليهود معا مما يجعلهم يعملون بذات الطريقة، وليس فقـط نتـيجة قـرارات تـتخذ بشكل متعمد. وربما يمكن تشبيه هذا الأمر بالمثال البريطانـى، حـيث دفعهـم [البـريطانيين] حبهم للمغامرة فى البحار إلى الأمام، وبالتالـى جعل منهم أعظم استعماريى العالم. إن المنطق الذى أسس للإمبراطورية البـريطانية لـيس لأن البريطانى قد قرر بشكل منفرد ورسمى أن يكون مستعمرا وإنما هو نتيجة لطبيعته، ولكن هل هذا سبب كاف لتفسير الإمبراطورية البريطانية؟

ممالاشـك فـيه أن الـيهود لـديهم الخصلة التى تجعلهم يحققون ما يفعلونه ويـتفوقون فيه أينما ذهبوا. ولكن هل هذا يفسر العلاقات التى توجد بين اليهود فى كـل الـبلاد، ولمجالسهم العالمية، ولتوقعهم بالأحداث الهائلة، والتى تحدث صدى

مفاجئا بالنسبة لبقية أنحاء العالم؟، وللهدوء والجهوزية حينما ظهروا فى باريس فى وقت ما ببرنامج عالمى بدا وأنهم أجمعوا عليه ؟.

لقد خامرت العالم شكوك لفترة طويلة – فى البداية كان عدد المتشككين قليلاً ثم ازداد شيئا فشيئاً؛ ليضم الإدارات السرية فى الحكومة، ثم المفكرين، ثم شيئا فشيئاً الناس العاديين أنفسهم – وكانت الشكوك تدور حول أن اليهود ليسوا فقط أمة متميزة عن غيرها من الأمم الأخرى، ولكنهم غير قادرين على تخطى هويتهم القومية-، وليس ثمة وسيلة يمكن لهم وللعالم أن يتبنياها لتحقيق هذا الهدف [إذابتهم فى الدول التى يعيشون فيها] ، ولكن هم أيضا يشكلون دولة ؛ وأنهم لديهم وعى بقوميتهم، ليس هذا فقط بل أيضا هم متحدون بوعى من أجل الدفاع المشترك ولهدف مشترك. بالعودة إلى تعريف ثيودور هيرتزل للأمة اليهودية، وأن سبب اتحادها هو عدو مشترك، ثم التفكير بأن هذا العدو المشترك هو عالم الأغيار. فهل هؤلاء الناس الذين يرون أنفسهم على أنهم أمة تترك نفسها غير منظمة أمام هذه الحقيقة؟ هذا أمر لا يتناسب مع الذكاء اليهودى فى مجالات أخرى. وحينما ترى كيف أن اليهود متحدون من خلال منظمات موجودة فى الولايات المتحدة ، وإذا رأيت كيف أنه بيد خبيرة يتم حفز هذه المنظمات على العمل بكل ثقة فى فاعلية الضغوط التي تمارسها، فعلى الأقل ليس من غير المتصور أن مايمكن فعله – أو ماتم عمله بالفعل – فى دولة ما يمكن تكراره بين كل الدول التى يعيش اليهود فيها.

وعلى أى حال، فى دورية العبرى الأمريكى عدد ٢٥ يونيه،١٩٢٠، كتب هيرمان بيرنشتاين يقول: " منذ حوالى عام أرسل لى ممثل من وزارة العدل نسخة من وثيقة " الخطر اليهودى" التى كتبها البروفيسور نيلوس، وطلب رأيى فى مثل هذا العمل، وقال إن الوثيقة هى ترجمة لكتاب روسى نشر فى العام ١٩٠٥، وتم منعه. كان من المفترض أن تحتوى الوثيقة على "بروتوكولات حكماء صهيون وكان من المفترض أن يكون هيرتزل قد قرأ هذا الكتاب فى مؤتمر سرى للمجلس الصهيونى فى بازل بسويسرا. ولقد أعرب (بيرنشتاين) أنه ربما كان هذا العمل للدكتور ثيودر هيرتزل ... ويقول إن بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى الذين رأوا هذه الوثيقة أعربوا عن دهشتهم لمعرفة أن المخطط يتم إعداده منذ سنوات

طـــويلة مضـــت مـــن قبل اليهود، والآن دخل فى حيز التنفيذ، وأن البولشفية كان مخططا لها منذ سنوات طويلة مضت بواسطة اليهود الذين سعوا لتدمير العالم".

يســـجل هـــذا الاقتباس حقيقة أن ممثلا من وزارة العدل من حكومة الولايات المـــتحدة هو الذى قدم هذه الوثيقة للسيد بيرنشتاين، بل وقد قال على وجه التحديد: "إن هـــذا العمل ربما كتبه ثيودر هيرتزل نفسه"، وكذلك " إن بعض أعضاء مجلس الشـــبوخ الأمريكيين" كانوا مندهشين لملاحظة المقارنة بين ما اقترحته مطبوعة فى العام ١٩٠٥ وما كشف عنه العام ١٩٢٠.

هـــذه الحادثة تشغل البال؛ لأنها وقعت بسبب فعل ممثل حكومة، هذه الحكومة ذاتهـــا هى اليوم- إلى حد كبير- فى أيدى أو تحت تأثير المصالح اليهودية. إنه من المحتمل أنه بمجرد أن تُعرف هذه الأنشطة، أن يتم توقيف المحقق. ولكن أيضا من المحتمل أنه مهما كانت الأوامر والتعليمات المعطاة وعلى مايبدو تم إطاعتها ، فإن التحقيق والتحرى لم يتوقف.

لقـــد كانـــت حكومة الولايات المتحدة متأخرة بعض الشىء فى الأمر رغم أنه كانت هناك على الأقل أربعة قوى عالمية سبقتها إلى ذلك، البعض يعود إلى سنوات طـــويلة مضت. نسخة من البروتوكولات موجود بالمتحف البريطانى، وتحمل ختم تلـــك المؤسسة " أغسطس ١٠، ١٩٠٦" بينما المذكرات نفسها ربما تعود إلى العام ١٨٩٦، أو العام الذى تفوه به هيرتزل بالاقتباسات التى سبق وذكرت على لسان د. هيرتزل فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى العام ١٨٩٧.

وقد نشرت الوثيقة حديثًا فى بريطانيا تحت إشراف هيئات ....(عارضت إثارة الاهـــتمام حـــول البـــروتوكولات) رغم العنوان المشـــئوم الذى نشرت تحته. إير وسبوتيســـوود الطابعـــان المعينان من قبل الحكومة البريطانية، هما اللذان أحضرا البامفليت. بدا هذا الأمر وكأن مكتب الطباعة التابع للحكومة فى واشنطن هو الذى علـــيه أن يصـــدر هذا المنشور فى البلاد، وبينما كانت هناك الصرخة المعتادة من قبل الصحافة اليهودية، فإن جريدة التايمز اللندنية فى تعليقها ذكرت بأن كل الهجوم اليهودى المضاد "ليس مرضيا" (ليس مقنعا).

وقد لاحظت التايمز ذات الحالة تقريبا فى هذه البلاد أيضا، وهو أن المدافعين

اليهود يتركون نص البروتوكولات على جانب ، بينما يركزون تركيزا شديدا على حقيقة أنها بلا توقيع. وحينما يشيرون إلى محتوى الوثائق، هناك صيغة واحدة من الكلمات غالبا ما تستخدم وهى" أنها من عمل شخص مجرم أو مجنون".

إن البـــروتوكولات، بدون أى أسماء ملحقة بها، ظهرت فى الجزء الأكبر فى صـــورة مخطـــوطات هنا وهناك، حيث تم نسخها بصعوبة من يد ليد، ولم تشرف علـــيها أى هيـــئة، ولا كانت على استعداد للوقوف وراءها، وقد درست بجدية فى الإدارات الســـرية للحكـــومات، ومرت من مسئول رفيع إلى آخر، وعاشت طويلا وتـــزايد نفـــوذها وهيبتها فقط من خلال قوة محتواها. وهى إنجاز رائع لمجرم أو لـــرجل مجـــنون! أما الدليل الوحيد الذى تملكه، فهو ما تحتوى عليه، وهذا الدليل الداخلى هو ــ كما أشارت التايمز اللندنية ــ النقطة التى تجذب الاهتمام، وهى ذات النقطة التى تبذل الجهود اليهودية لسحبنا بعيدا عنها.

إن أهمية البروتوكولات فى هذا الوقت(*) يكمن فى تأثيرها على الأسئلة الآتية: هل لدى اليهود نظام عالمى منظم؟ وماهي سياسته ؟ وكيف يعمل؟

هـــذه الأســـئلة تلقى كل الاهتمام فى البروتوكولات. أى من كان العقل المدبر وراءهـــا فهـــو لا شـــك كان يملك معرفة بالطبيعة الإنسانية، بالتاريخ، وبصناعة الدولـــة، وهو مدهش فى اكتماله، ومرعب فى الأشياء التى تمارس نفوذها عليها. هـــو لـــيس رجـــلاً مجنونًا وليس مجرمًا متعمدًا، ولكن من المحتمل أكثر أنه عقل متفوق يسيطر عليه ولاء لشعب وديانة، ذلك إذا كان بالفعل هناك عقل واحد وراء هـــذه البروتوكولات. إنه حقيقى بشكل مفزع لأن يكون أمرًا خياليًا، ومتماسكًا جدا لأن يكون مجرد تكهنات، ويحوى معرفة عميقة بالشراك السرية لحياة التزييف.

إن الهجوم اليهودى على هذه البروتوكولات يركز بشكل كبير على حقيقة أنها خـــرجت من روسيا، ولكن هذا الأمر بالكاد حقيقى. لقد جاءت هذه البروتوكولات عن طريق روسيا؛ لأنها ألحقت بإحدى الكتب الروسية التى نشرت فى العام ١٩٠٥ بواسطة البروفيسور نيلوس الذى سعى إلى قراءة البروتوكلات من خلال الأحداث الـــواقعة فـــى روسيا آنذاك. هذا النشر والتفسير هو ما أعطى تلك البروتوكولات صـــبغة روســـية، الأمـــر الذي أفاد منه خبراء الدعاية اليهود فى هذه البلاد، وفى

(*) عام ١٩٢٠، حين كتب هنرى فورد مقالاتة فى ديربورن بالولايات المتحدة.

انجلتـــرا كذلك؛ لأن هؤلاء الخبراء نجحوا فى تلقين العقل الأنجلو- ساكسونى بفكر معـــين عن روسيا والروس. خبراء الدعاية اليهود أولئك مسئولون عن أكبر خدعة حاكـــوها وانخدع بها العالم ــ ولاسيما الرأى العام الأمريكى ــ فيما يتعلق بالمزاج والنـــبوغ الحقيقـــين للشعب الروسى. وبالتالى فإن القول بأن البروتوكولات روسية الأصل يعنى جزئيا إفقادها المصداقية.

يوضح الدليل الداخلى أن البروتوكولات لم يكتبها شخص روسى، بل لم تكتب أساســـا باللغة الروسية ولا تحت تأثير الأحوال فى روسيا، ولكن ما حدث هو أنها وجـــدت طـــريقها إلى روسيا وطبعت أول ما طبعت هناك. وقد عثر عليها ضباط ديبلوماسيون فى شكل مخطوطات. وفى كل مكان استطاع النفوذ اليهودى أن يمنع ظهورها، قام بذلك، وأحيانا من خلال أقصى العقوبة.

اســـتمرارية وبقـــاء هذه البروتوكولات هى حقيقة تشكل تحديًا للعقل. قد يفسر الاعـــتذاريون اليهود هذه الاستمرارية على أساس أن البروتوكولات تغذى مشاعر معـــاداة الســـامية، وبالتالـــى يتم الاحتفاظ بها لخدمة هذا الغرض. وبالتأكيد لم تكن هـــناك مشاعر معادية للسامية عميقة أو كبيرة فى الولايات المتحدة آنذاك لتغذيتها، أو فـــى حاجـــة إلى عدد من الأكاذيب المقبولة لتحيا. إن انتشار البروتوكولات فى الـــولايات المتحدة يمكن تفسيره على أساس أنها تلقى الضوء وتعطى معنى لبعض الحقائـــق التـــى ســـبق ولاحظناها، وأن هذا الضوء والمعنى يثيران الدهشة بشكل يعطـــى أهمـــية ومنزلة لهذه الوثائق التى لا تنسب لأحد. إن الأكاذيب الصرفة لا تعـــيش طـــويلا، ذلك أن قوتها سرعان ماتخفت، أما هذه البروتوكولات فهى مليئة بالحـــياة أكثـــر مـــن ذى قبل . لقد اخترقت المناصب العليا أكثر من ذى قبل، ولقد تطلبت هذه البروتوكولات مواقف جادة تجاهها أكثر من أى وقت مضى.

إن البروتوكولات لم تكن لتستحق الدراسة إذا كانت على سبيل المثال ممهورة بتوقـــيع ثيودر هيرتزل، ذلك أن كونها غير ممهورة بتوقيع ما لا يقلل من أهميتها بمـــثل ما لايؤثر إزالة توقيع الرسام ولا ينقص من الأهمية الفنية للوحة. بالفعل إن مـــن الأفضـــل أن تكون البروتوكولات بدون مصدر معروفٍ. لأنه كان معروفا بالقطـــع فـــى فرنســـا أو سويســـرا أنه فى العام ١٨٩٦ستجتمع جماعة من اليهود العالميين فى مؤتمر لتضع برنامجا لغزو العالم، ومازال يجب التدليل على أن مثل

هذا البرنامج كان أكثر من مجرد وهم وتخيل، وأن هذا البرنامج تم تثبيته وتعزيزه فـــى الجزء الأكبر من خلال المجهودات التي بذلت لتحقيقه. إن البروتوكولات هى برنامج عالمى- ولا يوجد أدنى شك فى ذلك فى أى مكان، وهو البرنامج الذى ذكر فـــى هذه المقالات. **أما فيما يتعلق بالتأكيد الظاهرى؛ أيهما أكثر أهمية وذو قيمة؛ توقيع أو ستة توقيعات أو عشرون توقيعًا؟ أم خط متواصل من المجهودات بذلت طيلة ربع قرن لتحقيق هذا البرنامج؟**

إن نقطـــة الاهتمام هنا لهذا البلد وفى بلاد أخرى هى ليس أن مجرمًا أو رجلاً مجـــنونًا هـــو الـــذى تصـــور مثل هذا البرنامج، بل إنه حينما تم وضعه، فإن هذا البـــرنامج وجد الوسائل التى تمكنه من تحقيق أهدافه، بل وأكثر مفرداته وتفاصيله أهمـــية. إن الوثائق نسبيا غير مهمة؛ أما ما هو على درجة كبيرة من الأهمية فهو الاهتمام الذى تثيره هذه الوثائق تجاه الظروف التى أدت لظهورها.

(ديربورن إندبندنت، عدد ١٠ يوليو ١٩٢٠م)

* * *